ج. م. سـينج

الراكبُـون إلى البحـر

الشخصيات:

موريا (امرأة عجوز)

بارتلي (ابنها)

كاثلين (ابنتها)

نــورا (ابنتها الصغرى)

رجال ونساء

المنظر: جزيرة في غرب أيرلندا.

(مطبخ في أحد الأكـواخ يحتوى على شُباك، ومعـاطف واقية من المطر، مغزل، بعض الألواح الخشبية مسندة إلى الجدار، إلخ. كاثلين فتاة في العشرين من عمرها تقريبًا، تنتهي من عجن كعكة، وتضعها في قدر فخاري على النار، ثم تمسح يديها وتبدأ في الغزل على المغزل. نــورا فتاة شابة تطل برأسها من الباب).

نــورا: (بصوت منخفض) أين هي؟

كاثلين: ممددة، فليعنها الله، وربما كانت نائمة، إن استطاعت أن تغمض جفنيها.

(تدخل نــورا بتمهل، وتأخذ صرة من تحت شالها)

كاثلين (تغزل بسرعة)

: ماذا معك؟

نــورا: أحضرهم الكاهن، قميص وجورب رث انتزعا من رجل غارق في دونيجال.

(توقف كاثلين المغزل بحركة مفاجئة، وتميل لتسمع)

نــورا: نحاول أن نكتشف ما إذا كانا يخصان مايكل، فأحيانًا كان يطل برأسه من فوق السفينة.

كـاثلين: كيف يخصان مايكل يا نورا، كيف وصل إلى هذا الحد في الشمال؟

نــورا : قال الكاهن إنه كان معروفًا بارتداء ملابس كتلك، وقال "إذا كانا ملكًا لمايكل فيمكنك أن تتفاخري بأن الله أنعم عليه بدفن كريم، أما إن لم يكونا ملكًا له فلا يتفوه أحد بكلمة عنهم". وقال "إنها لو عرفت فستموت كمدًا عليه".

(الباب الذي تركته نورا نصف مفتوح فُتح عندما هبت الريح).

كاثلين (أطلت من الباب بقلق)

: هل طلبت منه أن يمنع بارتلي اليوم من الذهاب إلى سوق جالواي.

نــورا : قال: "لن أمنعه"، "لكن لا تخافي. فهي تصلي كثيرًا بالليل. وقال إن رحمة الله لن تحرمها من بقاء ابن من أبنائها على قيد الحياة".

كاثلين: هل البحر مخيف عند الصخور البيضاء يا نـورا؟

نــورا: إنه مخيف إلى حدٍّ ما، كان الله معنا، هناك هدير عظيم في الغرب، وسيكون أفظع عندما يتزامن المد والجزر مع العاصفة.

(تذهب بالصُّرة إلى المنضدة)

: هل أفكها الآن؟

كاثلين: ربما تستيقظ وتفاجئنا بدخولها قبل أن نعرف ما بها.

(تقترب من المائدة)

: سنستغرق وقتًا طويلاً في البكاء.

نـورا (تذهب إلى الباب الداخلي وتتسمع)

: إنها تتقلب في الفراش، ستأتي في أية لحظة.

كاثلين: أعطيني السلَّم، سأخبئهم في مخزن الأعشاب العلوي. في مكان لن تعرفه مطلقًا، وعندما يبدأ المد ستهبط لترى ما إذا كان طافيًا من الشرق.

(تضعان السُّلم أمام الجزء الأعلى من المدخنة. تصعد كاثلين درجات قليلة وتخبئ الصرة في مخزن الأعشاب العلوي. تدخل موريا من الحجرة الداخلية).

موريا (تنظر إلى كاثلين، وتتكلم بطريقة تتسم بالشكوى)

: أليست هناك أعشاب كافية للنهار والليل؟

كاثلين: هناك كعكة تحمَّص فوق النار وتحتاج المزيد من الأعشاب (تقذف بالأعشاب). وبارتلي سيحتاج قطعًا لها حين ينحسر المد، إذا كان ذاهبًا إلى كونيمارا.

(تلتقط نـورا الأعشاب وتضعها حول القدر الفخاري)

موريا (تجلس على كرسي بلا ظهر أو ذراعين أمام النار)

لن يذهب اليوم، وهبوب الرياح لا ينقطع من الجنوب ومن الغرب. لن يذهب اليوم لأن الكاهن بالتأكيد سيمنعه.

نـورا: لن يمنعه يا أمي، لقد سمعت إيمون سيمون وستيفن فيتي وكولم شوان يؤكدون إنه سيذهب.

موريا: أين هو بالضبط؟

نـورا: لقد ذهب ليتحقق من وجود سفينة ستبحر هذا الأسبوع. وأعتقد أنه لـن يـستغرق وقتًا حـتى يـأتي، لأن المـد وصـل إلى اللـسان الأخضر، والسفينة ذات الصاري الوحيد تتخذ سبيلاً متعرجًا قادمة من الشرق.

كاثلين: أسمع خطوات شخص يتجاوز الأحجار الكبيرة.

نـورا (تطل من النافذة)

: هو قادم مسرعًا.

بارتلي: أين الحبل الجديد الذي اشتريته من كونيمارا؟

كـاثلين (تهبط) نـورا، اعطـه الحبـل. إنـه معلـق في مـسمار بجـوار الألـواح الخـشبية البيــضاء. علقتُــه في الــصباح لأن الخنزيـر ذي الأقــدام السوداء كان يقرضه.

نـورا: (تعطيه الحبل) هل هو ذلك يا بارتلي؟

موريـا: بـارتلي، مـن الأفـضل أن تتـرك ذلـك الحبـل معلقًا بجوار الألـواح الخشبية (يأخذ بارتلي الحبل)؛ فسنحتاج إليه هنا إذا ظهرت جثة مايكل صباح غد أوصباح بعد غد أو أي صباح خلال الأسبوع، لأن القبر عميق وسنستخدمه في إنزال نعشه بفضل الله.

بـارتلي: (ينـهمك في الحبـل) لـيس لـديَّ قيـد لأمتطـي الفـرس، لابـد أن أذهـب على الفـور، فتلـك هـي الـسفينة الـوحيدة الـتي تغـادر كـل أسـبوعين أو أكثـر، والـسوق سـيكون مناسـبًا للجيـاد، سمعتـهم يقولون ذلك في الوادى.

موريا: إنه شيء مخزٍ جدًّا ما يقولونه في الوادي إذا ظهرت الجثة ولم تجد من يُعد لها نعشًا، وبعد أن دفعنا ثمنًا كبيرًا لأفضل الألواح الخشبية البيضاء الموجودة في كونيمارا.

(تتفحص بعينيها الألواح الخشبية)

بارتلي: كيف يتسنى لها أن تظهر، بعد أن بحثنا يوميًّا لمدة تسعة أيام، والرياح الشديدة تهب من الغرب ومن الجنوب؟

موريا: ولم لا تظهر تلقائيًّا، والريح تجعل البحر هائجًا، وهناك نجم مرتفع أمام القمر، وكلاهما ساطع بالليل. إذا كانوا مائة جواد، أو ألف جواد تمتلكهم، فما قيمة ألف جواد أمام ابن وحيد على قيد الحياة؟

بارتلي (منهمك في إعداد القيد، يوجه كلامه لكاثلين) اهبطي كل يوم، وتأكدي أن الخراف لا تقفز على الجودار*. وإذا أتى التاجر فيمكنك أن تبيعي له الخنزير ذي الأقدام السوداء، إذا توصلتما إلى سعر مناسب؟

موريا: كيف يتسنى لأمثالها أن تبيع الخنزير بسعر مناسب؟

بارتلي (لكاثلين): إذا توقفت الريح مع الهزيع الأخير من الليل، انهضي أنتِ ونورا، وتخلصا من الأعشاب الضارة، لتضعا كومة أخرى من العشب؛ فسنكون في وضع صعب من اليوم، حين لا يكون هناك من يقوم بالعمل إلا رجل واحد.

---

* الجودار: هو نبات من الفصيلة النجيلية، له عدة أسماء مثل الشولم وجويدار، وهو يأتي بعد القمح من حيث أهميته الغذائية. يشبه القمح والشعير. (المترجم)

موريا: سنكون قطعًا في وضع صعب ذلك اليوم الذي تغرق فيه كالآخرين. كيف أحيا ومعي البنتان، وأنا امرأةٌ عجوز على شفا الموت؟

(يضع بارتلي القيد، يخلع معطفة القديم، ويرتدي معطفًا جديدًا من نفس الصوف).

بارتلي (لنورا): هل وصلت للرصيف؟

نورا (تطل من النافذة): تمر الآن عند اللسان الأخضر وتنزل أشرعتها.

بارتلي (يأخذ محفظته وسجائره)

: سأستغرق نصف ساعة حتى أهبط الوادي، وسأرجع في خلال يومين أو ثلاثة، وربما في أربعة أيام، إذا كانت الرياح شديدة.

موريا (تولى وجهها للنار وتضع شالها على رأسها)

: أليس رجلاً قاسيا وذا قلب متحجر ذلك الذي لا يسمع كلام امرأة عجوز، وهي تحاول أن تبعده عن غدر البحر؟

كاثلين: إنها حياة شاب مرتبطة بركوبه البحر، فهل يستمع لإلحاح امرأة عجوز.

بارتلي (يأخذ القيد): عليَّ أن أذهب في التو. سأهبط ممتطيًا الفرس الأحمر، والمهر الأشهب سيجري خلفي. فلتحفظكم عناية الله.

(يخرج)

موريا (تصرخ وهو على الباب)

: لقد ذهب الآن وبقينا نحن أحياء، فلن نراه مرةً أخرى. لقد ذهب الآن، وعندما يحل الليل، فلن يتبقى لي ابن على وجه الأرض.

كاثلين: لماذا لا تباركينه برضاك حتى يعود من جديد؟ أليس من المحزن لكل شخص في هذا البيت ألا يسلم من توديعك له بالتشاؤم فيطن كلامك في أذنيه؟

(تأخذ موريا الملقط، وتبدأ في تقليب النار بلا هدف، بدون أن تنظر)

نـورا (تستدير تجاهها)

: إنك تبعدين العشب المحترق من تحت الكعكة.

كاثلين (بتذمر)

: سامحنا الله يا نـورا لقد نسينا أن نعطيه كسرة الخبز.

(تقترب من النار)

نــورا: سيتضور جوعًا لأنه سيظل مبحرًا حتى الليل، كما أنه لم يأكل شيئًا منذ شروق الشمس.

كاثلين (تخرج الكعكة من القدر)

: بالتأكيد سيتضور جوعًا. لم يبق عقلٌ في رأس أي شخص في بيت توجد فيه امرأةٌ عجوز تثرثر للأبد.

(موريا تتمايل فوق الكرسي)

كاثلين (تقطع بعضًا من الخبز وتلفه في قطعة قماش، وتقول لموريا)

: اهبطي الآن إلى المرفأ واعطِه هذه، وهو صاعد إلى السفينة. عندما ترينه ستذوب عندئذٍ كلمة التشاؤم، ويمكنك أن تباركيه برضاك، هكذا سيرتاح عقله.

موريا (تأخذ الخبز)

هل يمكنني أن ألحق به؟

كاثلين: إذا ذهبتِ فورًا.

موريا (تقف غير مستقرة)

: من الصعب عليَّ أن أمشي.

كاثلين (تنظر إليها بقلق)

: نـورا، أعطِها العصا حتى لا تقع على الأحجار الكبيرة.

نـورا: أية عصا؟

كاثلين: العصا التي أحضرها مايكل من كونيمارا.

موريا (تأخذ العصا من نـورا)

: في العـالم الفـسيح، يتـرك الآبـاء الطـاعنون في الـسن أشـياءً بعـد رحيلـهم لأبنـائهم وأولادهـم. لكـن في هـذا المكـان، هُـم الأبنـاء الشبان مَن يتركون أشياءً بعد رحيلهم لآبائهم الطاعنين في السن.

(تخرج على مهل. تصعد نـورا السُّلَّم)

كاثلين: انتظرى يا نــورا، فربما تستدير عائدةً سريعًا. فهى تحمل حزنًا كبيرًا، أعانها الله، لا تتوقعين ما سوف تفعله.

نـورا: هل مرت بالشجرة؟

كاثلين (تطل من النافذة)

: لقد مرت بها الآن. ألقي بها سريعًا. فالله يعلم متى ستتطلع عليها.

نـورا (تخرج الصُّرة من الأعشاب)

: قال الكاهن إنه سيمر غدًا، وربما نهبط للوادي ونتحدث معه، إذا كانا بالتأكيد يخصَّان مايكل.

كاثلين (تأخذ الصُّرة)

: هل قال كيف عثروا عليهما؟

نـورا (تنزل)

: قال "كان هناك رجلان يجدفان قبل صياح الديكة، ولمس أحدهما بمجدافه الجثة ومروا بالمنحدرات الصخرية السوداء في الشمال".

كاثلين (تحاول فتح الصرة)

: اعطيني سكينًا يانورا، فالخيط أفسده الماء المالح، وهناك عقدة سوداء لن تستطيعي فكها ولو في أسبوع.

نورا (تعطيها السكين)

: سمعت أن المسافة طويلة إلى دونيجال.

كاثلين (تقطع الخيط)

: بالتأكيد طويلة. منذ فترة جاء رجل إلى هنا- الرجل الذي باع لنا السكين- وقال إذا بدأت السير من عند الصخور فستستغرقون سبعة أيام كي تصلوا إلى دونيجال.

نورا: وكم يستغرق الرجل وقتًا إذا كان طافيًا؟

(تفتح كاثلين الصُّرة وتخرج فردة جورب. تنظران إليها بتلهف)

كاثلين (بصوت منخفض)

: رحمنا الله يانورا! أليس بشيء قاس وغريب إذا كانا يخصانه بالفعل؟

نورا: سأنزل قميصه من فوق الشماعة، وسأقارنه بهذه (تنظر إلى بعض الملابس المعلقة في الركن) ليس موجودًا بينهم يا كاثلين، تُرى أين عساه أن يكون؟

كاثلين: أعتقد أن بارتلي ارتداه في الصباح لأن قميصه كان مثقلاً بالملح (تشير إلى الركن) يوجد أحد الأكمام من نفس نوع القماش. اعطني هذه وسأقارنه.

(تحضره نورا لها وتقارن القماش)

كاثلين: نفس القماش يا نورا. لكن ألا يوجد الكثير منها يباع في محلات جالواي، وألا يوجد الكثير من الرجال لديهم قمصان مثل ذلك الذي يخص مايكل؟

نورا (أخذت الجورب، وراحت تحصى مواضع الرتق، تصيح)

: كاثلين، إنه قميص مايكل، إنه قميص مايكل يرحمه الله، وماذا ستقول عندما تسمع تلك القصة وبارتلي بالبحر؟

كاثلين (تأخذ الجورب)

: إنه جورب مرتق.

نورا: إنها واحدة من الزوج الثالث الذي رتقته، وقمت بإصلاح ثلاث ثقوب فيه.

كاثلين (تعد مواضع الرتق)

: إنه هو نفسه ذلك العدد (تصيح) آه يا نورا. غير إنه لشيء مرير أن نتخيله طافيًا هكذا في الشمال، ولا أحد يقوم بالندب والعويل عليه إلا جنيات سوداء تطير فوق البحر؟

نورا (تتأرجح وتلقي بذراعيها على الملابس)

: وألم يكن بشيء يُرثى له حين لا يتبقى شيء مِن رجل- كان من عظماء التجديف وصيادًا- إلا جزء من قميص قديم وجورب مرتق؟

كاثلين (بعد لحظة)

: نــورا هل هي قادمة؟ أسمع صوتًا منخفضًا في الطريق.

نـورا (تطل من النافذة)

: إنها هي يا كاثلين، هي قادمة نحو الباب.

كـاثلين: ضـعي تلـك الأشياء بعيـدًا قبـل أن تـدخل. فربمـا سيكون حالها أفضل بعد أن منحت بارتلي بركاتها، ولن نقص عليها ما سمعناه في وقت ركوبه البحر.

نـورا (تساعد كاثلين في ربط الصُّرة)

: سنضعها في هذا الركن.

(وضــعتاها في ثقــب في ركــن المدخنــة. تعــود كــاثلين إلى المغزل).

نـورا: هل ستلاحظ أنني كنت أبكي؟

كاثلين: فلتولي ظهرك للباب حتى لا يُسلط الضوء عليك.

(تجلس نــورا في ركن المدخنة موليةً ظهرها للباب. تدخل موريا ببطء شديد بدون أن تنظر إلى البنتين، وتـذهب إلى كرسيها على الجانـب الآخـر مـن الموقـد. مـا تـزال قطعـة القمـاش الملفــوف فيهــا الخبــز في يــدها. تتبــادل الفتاتــان النظرات، ونــورا تشير إلى صُرة الخبز)

كاثلين (بعد أن غزلت لفترة)

: ألم تعطيه لقمة الخبز؟

(تبدأ موريا في الندب والعويل بهدوء دون أن تستدير)

كاثلين: هل رأيتيه وهو يركب إلى البحر؟

(تستمر موريا في الندب والعويل)

كاثلين (بنفاذ صبر قليلاً)

: سامحك الله. أليس أفضل أن ترفعي صوتك وتخبرينا بما رأيتِه،
بدلاً من النواح على شيء حدث بالفعل؟ أسألك هل رأيتِ
بارتلي؟

موريا (بصوت واهن)

: لقد تحطم قلبي من اليوم.

كاثلين (بنفاذ صبر أيضًا)

: هل رأيتِ بارتلي؟

موريا: لقد رأيت شيئًا رهيبًا.

كاثلين (تترك المغزل وتنتبه)

: سامحك الله، إنه يمتطي الفرس الآن فوق اللسان الأخضر والمهر
الأشهب خلفه.

موريا (تجفل فيقع شالها من فوق رأسها فيظهر شعرها الأبيض المتطاير.
تقول بصوت مذعور)

: المهر الأشهب خلفه.

كاثلين (تقترب من النار)

: ما الذي يزعجك؟

موريا (تتكلم ببطء شديد)

: لقد رأيتُ شيئًا مخيفًا لم يره أحدٌ من قبل، منذ اليوم الذي رأت
فيه العروس دارا الرجل والطفل بين ذراعيه.

كاثلين ونورا: أوه

(تقعيان أمام المرأة العجوز بجانب الموقد)

نورا: قُصي لنا ما رأيته.

موريا: لقد هبطتُ إلى المرفأ ووقفت هناك أدعو سرًّا. ثم ظهر بارتلي وكان يمتطي الفرس الأحمر والمهر الأشهب خلفه (ترفع يدها كما لو كانت تحجب شيئًا عن عينيها) يرحمنا الله يا نورا!

كاثلين: مَن الذي رأيتِه.

موريا: رأيت مايكل نفسه.

كاثلين (تتحدث بلين)

: لم تَريه يا أمي، لم يكن مايكل مَن رأيتِه، لأن جثته وجدوها في الشمال، وتنعم بدفن كريم بأمر الله.

موريا (بجرأة قليلاً)

: رأيتُه اليوم وهو يمتطي الحصان ويعدو بسرعة. وصل بارتلي في البداية ممتطيًا الفرس الأحمر، وحاولت أن أقول له "وفقك الله" لكن شيئًا حشر الكلمات في حنجرتي. لقد مر بجانبي سريعًا وقال "رحمك الله"، ولم أستطع أن أرد. نظرت إليه عندئذٍ وصرخت في المهر الأشهب؛ فقد كان يمتطيه مايكل- مرتديًا ملابس رائعة، وحذاءً جديدًا في قدميه.

كاثلين (تبدأ في الندب والعويل)

: لقد هلكنا منذ اليوم. بالتأكيد هلكنا.

نورا: ألم يقل الكاهن أن الله لن يحرمها من ابن على قيد الحياة؟

موريا (بصوت منخفض لكنه واضح)

: إنهم قليلون أمثاله مَن يعرفون البحر... بارتلي سيضيع الآن، وسأجعلكما ترسلان لإيمون ليعد لي نعشًا لائقًا من الألواح البيضاء، لأنني لن أحيا بعدهما. كان لي زوج، وأبوه، وستة أبناء في هذا البيت- ستة رجال أقوياء، على الرغم من أنني عانيت

كثيرًا في ولادة كل منهم حتى أتوا إلى الدنيا... عُثر على البعض منهم ولم يُعثر على الباقين، لكنهم الآن رحلوا... كان ستيفن وشون قد فُقدا في عاصفة هوجاء وعُثر عليهما بعد ذلك في خليج جريجوري ذي المصب الذهبي، وحملاهما الاثنين فوق لوح خشبي واحد حتى هذا الباب.

(تصمت لبرهة، تهم الفتاتان كما لو سمعتا شيئًا يصدر عند الباب الموارَب)

نورا (بهمس)

: كاثلين، هل سمعتِ ذلك؟ هل سمعت ضوضاء في الشمال الشرقي؟

كاثلين (بهمس)

: هناك شخصٌ يصيح عند شاطئ البحر.

موريا (تستمر دون أن تسمع شيئًا)

: كان هناك شيموس وأبوه، وأبوه الحقيقي مرةً أخرى فُقدا في ليلة حالكة السواد، ولم يبد لهما أثر عندما أشرقت الشمس. كان هناك باتش بعد أن غرقت المركب بعد انقلابها. كنت جالسة ومعي بارتلي، عندما كان طفلا مستلق على ركبتي، ورأيت امراتين، ثم ثلاث نساء ، ثم أربع نساء قادمات لم يتفوهن بكلمة. وانتبهتُ حينها، وكان هناك رجال يتبعوهن ويحملون شيئًا ملفوفًا في قماش الشراع الأحمر ويتقاطر منه الماء- كان يومًا جافًا يا نورا- وتركوا أثرًا عند الباب.

(تصمت مجددًا، يداها ممدودتان تجاه الباب. يُفتح الباب برفق ويتوالى دخول نساء عجائز، يركعن عند مقدمة خشبة المسرح وهن يرتدين أثوابًا حمراء تغطي رؤوسهن)

موريا (كأنها تحلم، تقول لكاثلين)

: هل كان باتش أم مايكل، أم ماذا كان ذلك كله؟

كاثلين: عُثر على مايكل في الشمال، فإذا عثر عليه هناك فكيف يتواجد هنا في ذلك المكان؟

موريا: هؤلاء الرجال الأشداء الذين يجوبون البحر، كيف يتسنى لهم أن يحددوا أنها جثة مايكل، أو جثة شخص آخر يشبهه؛ عندما تظل جثة شخص تسعة أيام في البحر وهبوب الرياح لا ينقطع، فمن الصعب على أُمه نفسها أن تتعرف عليه.

كاثلين: إنه مايكل، رحمه الله، لأنهم أرسلوا لنا قطعًا من ملابسه من الشمال.

(تبسط يدها، وتعطى موريا ملابس مايكل. تقف موريا ببطء وتحتضنهم. تطل نورا من النافذة)

نورا: إنهم يحملون شيئًا بينهم، والماء يتقاطر منهم، ويتركون آثارًا عند الأحجار الكبيرة.

كاثلين (تهمس للنساء اللاتي دخلن)

: هل هي جثة بارتلي رحمه الله.

إحدى السيدات: بالتأكيد جثة بارتلي، أراح الله روحه في عليائه.

(تدخل سيدتان شابتان وتسحبان المنضدة. ثم يدخل رجال يحملون جثة بارتلي الممددة على لوح خشبي والمغطاة بقماش الشراع ويريحوها فوق المنضدة)

كاثلين (للنساء المنهمكات في إراحته فوق المنضدة)

: كيف غرق؟

إحدى السيدات: المهر الأشهب أوقعه في البحر فغرق، عندما كانت هناك أمواج متكسرة فوق الصخور البيضاء.

(تتفحصه موريا، وتركع عند مقدمة المنضدة. النساء يندبن بتؤدة ويتمايلن بحركة بطيئة. تركع كاثلين ونورا عند الجانب الآخر من المنضدة. يربض الرجال بالقرب من الباب)

موريا (ترفع رأسها وتتكلم، كما لو لم تلحظ الناس حولها)

: لقد رحلوا جميعًا الآن. وليس لدى البحر شيء آخر يفجعني فيه... لن يكون هناك مَن ينادي نداء الفجيعة فأصحو صارخةً وأصلي عندما تأتي الرياح قاهرةً من الشمال، ويمكنكما أن تسمعا الأمواج المتلاطمة في الشرق، وتلاطم الأمواج في الغرب، فيصنعا جلبة هائلة بهديرهما المزعج، ويتدافعان في بعضهما البعض. ما من حاجة كي أهبط وأحضر الماء العذب في الليالي المظلمة، ولن آبه بحال البحر عندما تندب النساء الأخريات. (تقول لنورا): اعطني الماء العذب يا نورا. هناك جرعة صغيرة ما تزال في خزانة الأواني.

(تعطيها نورا الماء)

موريا (تغطي قدما بارتلي بملابس مايكل، وتنثر الماء العذب فوقه)

: لم تكن أنت من دعوت الله من أجله يا بارتلي. لم تكن أنت من دعوت من أجله في الليل الحالك السواد، لدرجة أنك لم تعرف ما كنت أقوله. لكنها راحة كبيرة سأنعم بها الآن، وقد حان

وقتها. إنها حقًّا راحةٌ كبيرة سأنعم بها. وأنام نومًا عميقًا في الليالي الطويلة. حتى لو كان لدينا قدر ضئيل من الدقيق المبلل، وربما سمك نتن كريه الرائحة.

(تركع مرةً أخرى، وتتلو صلواتها لاهثة)

كاثلين (لرجل طاعن في السن)

: ربما ستعد- أنت وإيمون- نعشًا عندما تشرق الشمس. لدينا ألواح خشبية جيدة اشترتها هي، أعانها الله، كانت تعتقد أنه من الممكن أن يُعثر على مايكل، وعندي كعكة طازجة يمكن أن تتناولاها وأنتما تعملان.

الرجل الطاعن في السن (ينظر إلى الألواح الخشبية)

: هل توجد معها مسامير؟

كاثلين: لا توجد، لم نفكر في المسامير.

رجل آخر: إنه لعجب العجاب أنها لم تضع حسابًا للمسامير، وقد رأت بعينها الكثير من النعوش تجهز أمامها.

كاثلين: إنها تتقدم في السن وقلبها محطم.

(تقف موريا من جديد ببطء، وتبسط قطع ملابس مايكل بجوار الجثة، وتنثر فوقها آخر قطرات من الماء العذب)

نـورا (تهمس لكاثلين)

: إنها هادئة ومطمئنة الآن، لكن في اليوم الذي غرق فيه مايكل كنتِ تسمعين صراخها من هنا حتى المرفأ. كانت مغرمةً بمايكل، هل كان يظن الجميع ذلك؟

كاثلين (ببطء ووضوح)

: ما هي إلا سيدة عجوز يسري التعب في جسدها من أي شيء تفعله. ألم تمض تسعة أيام تنتحب وتندب فجعلت البيت يضج بحزن كبير.

موريا (تقلب فوهة الإناء الفارغ فوق المنضدة، وتضع يديها فوق قدمي بارتلي)

: لقد حانت النهاية، وتجمعوا كلهم الآن. ربما حلت رحمة الله على روح بارتلي، وروح مايكل، وعلى أرواح شيموس وباتش وستيفن وشون (تميل برأسها) وربما شملني أنا ونورا برحمته، وروح كل شخص ما يزال ينعم بالحياة على وجه الأرض.

(تتوقف، الندب والعويل يعلو قليلاً من أفواه النساء، ثم يخبو)

موريا (تستمر)

: لقد حظي مايكل بدفن كريم في الشمال بمشيئة الله، أما بارتلي فسيحظى بنعش لائق مصنوع من ألواح خشبية بيضاء، وبالتأكيد سيسكن قبرًا عميقًا. ماذا نبغي أكثر من ذلك؟ لن ينعم إنسان بحياة أبدية، ويجب أن تكون قلوبنا راضية.

(تركع من جديد، ويُسدل الستار ببطء)